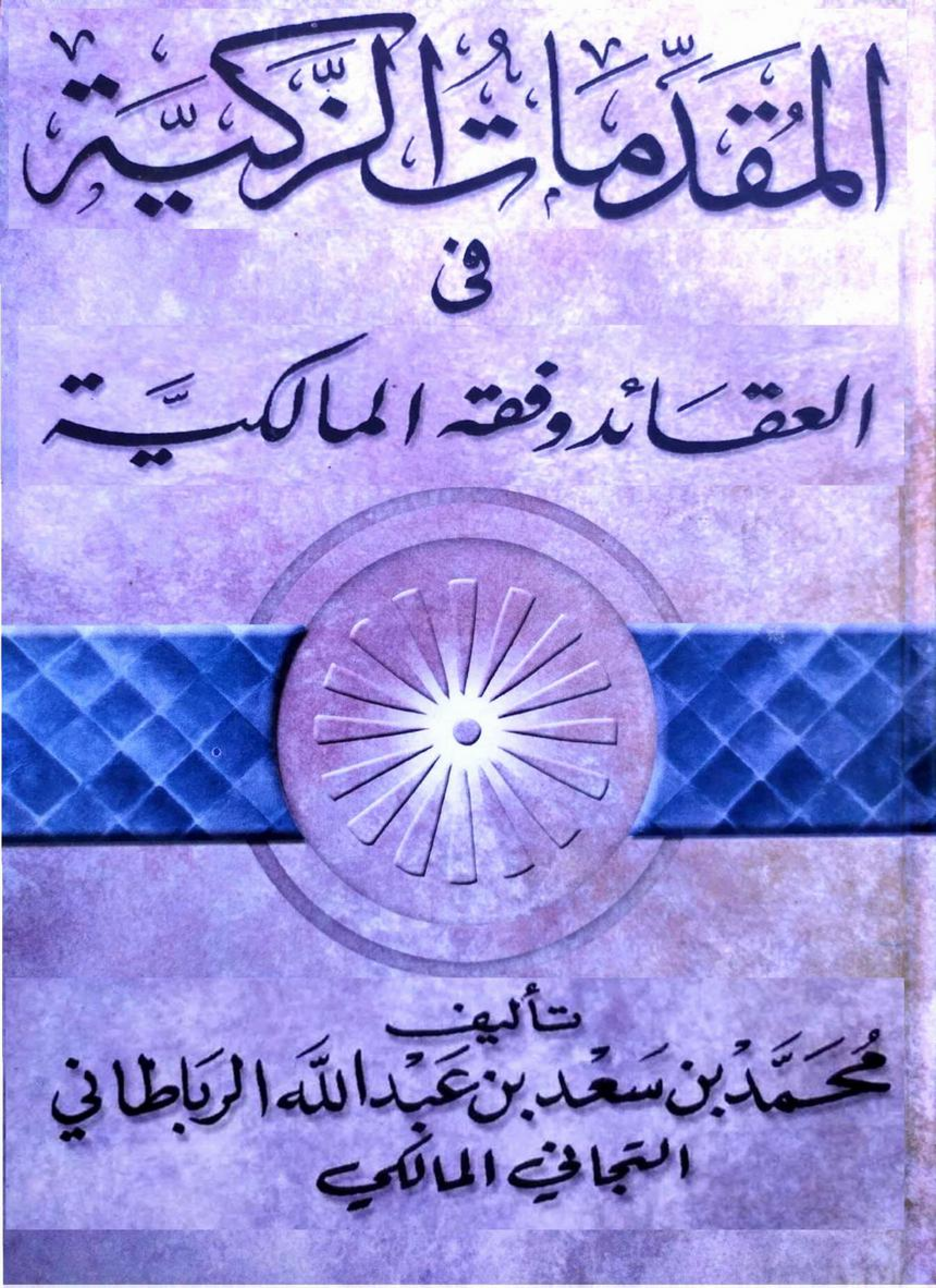

المقدمات الزكية
في
العقائد وفقه المالكية
تأليف
محمد بن سعد بن عبد الله الرباطابي
التجاني المالكي

المقدمات الزكية

في

العقائد وفقه المالكية

تأليف

محمد سعد بن عبد الله الرياطابى

التجانى المالكى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله تعالى «محمد سعد بن عبد الله بن الحسين الرباطابى العباسى المالكى التجانى» غفر الله له ولوالديه ومشايخه أجمعين آمين: إن الله تبارك وتعالى خلق الخلق والجن والإنس ليعبدوه ولا يشركوا به شيئا، قال تعالى: ﴿ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون** ﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿ **وإن من شيء إلا يسبح بحمده** ﴾ الآية، وعبادة الله تعالى لا تصح إلا بمعرفة الأحكام الشرعية التى أنزلها الله على نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابه العزيز، وبينها الرسول الكريم، قال الله تعالى: ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم** ﴾ فقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح لله تعالى، وبين لنا ما أمره الله به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والوعد والوعيد، والحساب والثواب الجزيل، قال تعالى ﴿ **وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا** ﴾ وهو الرحمة المهداة من الله تعالى إلى كافة الخلق أجمعين قال تعالى: ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا** ﴾ فقد بين لنا الحلال والحرام، والمندوب والمكروه والمباح، بعد أن أرسله الله تعالى إلى الخلق كافة بشيرا ونذيرا، هاديا مهديا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**العلماء ورثة الأنبياء**» وقد ورثوا عنه صلى الله عليه وسلم العلم النافع من أحكام الشريعة التى ينجو بها المكلف فى الدنيا والآخرة من عذاب يوم القيامة، والعلم بالتعلم:

* تعلم فليس المرء يولد عالما *

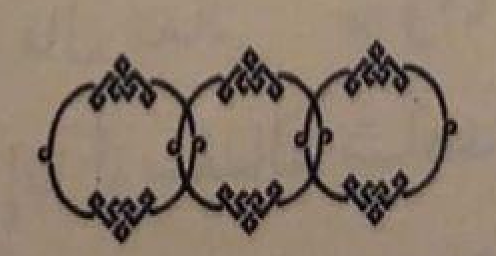
قال الناظم:

ولولا العلم ما سادت رجال ... ولا عرف الحلال ولا الحرام

فالعلم إمام والعمل تابعه، فلا يصح عمل بدون علم، قال صلى الله عليه وسلم: «**من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين**» فلا تصح العبادات إلا بمعرفة الأحكام الشرعية التى تناقلها العلماء جيلا بعد جيل إلى يومنا هذا، وقد أجمعت الأئمة من أهل المذاهب الأربعة المتفق عليها شرقا وغربا على ذلك، وقد كنت ممن درس بعض كتب الأئمة المالكية وتمسكت بأحكام مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ورضى الله عنه، فأحببت أن أكتب كتابا فى فقه السادة المالكية يشتمل على العقائد التوحيدية والمسائل الفقهية، راجيا من الله الثواب والنفع لى وللإخوان المسلمين من رجال ونساء، وسميته:

(المقدمات الزكية في العقائد وفقه السادة المالكية)

وجعلته قسمين: الأول فى علم التوحيد، والثانى فى علم الفقه، راجيا من الله الهداية والتوفيق، لا رب غيره ولا معبود سواه، وجعلته أبوابا وفصولا.




القسم الأول
في
علم التوحيد

الباب الأول

في

العقائد التوحيدية

العقائد التوحيدية هى التى يجب على المكلف معرفتها وجوبا شرعيا عينيا، ففريضة العلم واجبة على كل مسلم ومسلمة.

[**مبادئ علم التوحيد**] ويسمى علم الكلام، ويسمى علم أصول الدين. وله حد وموضوع وفائدة وثمرة وفضل ونسبة وحكم الشارع فيه كما فى هذه الأبيات:

إن مبادئ كل فن عشره الحد والموضوع ثم الثمره
وفضله ونسبة والواضع والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ومن درى الجميع حاز الشرفا

فاسمه: علم التوحيد إلخ. وحده: أنه علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية. وموضوعه: ذات الإله من حيث إثبات الصفات الكمالية والتنزيهية له تعالى. وفائدته: معرفة الصفات الذاتية. وثمرته: الفوز بالسعادة الأبدية. وحكم الشارع فيه: الوجوب الشرعى العينى على كل مسلم ومسلمة، وفى هذا القدر كفاية.

فصل

يجب على المكلف معرفة الله تعالى بالدليل، والمعرفة: هى الإدراك الجازم المطابق للواقع بدليل، ولا يكفى التقليد للغير فى معرفة العقائد التوحيدية، فلا بد من معرفتها بدليل، والدليل الذى يخرج به المكلف من ربقة التقليد إما جملى وإما تفصيلى، ويكفى فى المعرفة الدليل الجملى اتفاقا، وهو المعجوز عن تفصيله وحل شبهه، كأن يعرف وجوده تعالى بكونه

خالقا للعالم، والدليل على ذلك وجود هذه المخلوقات، فبمعرفة ذلك يخرج به المكلف عن ربقة التقليد فيكون إيمانه صحيحا، وهذا الدليل يجب على المكلف معرفته وجوبا عينيا كما تقدم. وأما الدليل التفصيلى فيجب وجوبا كفائيا، وهو المقدور فيه على ما ذكر؛ بأن يركب الدليل هكذا: بأن يقول المستدل مثلا: العالم صنعة، وكل صنعة لا بد لها من صانع، بحذف اللفظة المكررة، فتحصل النتيجة هكذا: العالم لا بد له من صانع، والصانع هو الله تبارك وتعالى، وهو المطلوب كما هو مبين فى فن المنطق. والتقليد: هو أخذ قول الغير من غير حجة، فالمقلد إيمانه صحيح. قال بعض العلماء: وعليه يكون عاصيا بترك الدليل الجملى الذى تقدم، وهو شرط كمال عند بعض العلماء وإن كان فيه أهلية للنظر الموصل للمعرفة، وهذا هو القول الصحيح، وقد علمت ما تقدم من صحة إيمان المقلد.

[**خاتمة**] قال صاحب الجوهرة:

وكل من قلد فى التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد

وينقسم فن التوحيد إلى ثلاثة أقسام: إلهيات، ونبوات، وسمعيات. فالإلهيات تختص بصفات الله تعالى، والنبوات تختص بصفات الرسل عليهم الصلاة والسلام، والسمعيات تختص بما جاءنا فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم بما يكون فى الدار الآخرة وأحوال القيامة، وما ورد فى ذلك من الحساب والعقاب والثواب والجنة والنار والميزان والصراط واليوم الآخر وما فيه إلخ، والله ولى التوفيق.

الباب الثانى

فيما يجب لله تعالى، وما يستحيل عليه وما يجوز من الصفات الواجبة والمستحيلة والجائزة فى حقه تعالى

[**الواجب فى حق الله تعالى إجمالا وتفصيلا**] يجب لله تعالى إجمالا

الاتصاف بكل كمال، والتنزه عن كل نقص؛ وتفصيلا يجب لله تعالى عشرون صفة، وهى الوجود، والقدم، والبقاء والمخالفة للحوادث، وقيامه تعالى بنفسه، والوحدانية، والقدوة، والإرادة، والعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والكلام، وكونه تعالى قادرا، ومريدا، وعالما، وحيا، وسميعا، وبصيرا، ومتكلما، فهذه عشرون صفة على طريقة الإمام أبى منصور الماتريدى؛ وعلى مذهب الإمام أبى الحسن الأشعرى ثلاث عشرة صفة بحذف الصفات المعنوية لأنها أحوال وليست بصفات زائدة على المعانى، وأن الحق أن لا حال عند المحققين من الأشاعرة. وتنقسم هذه الصفات بالنسبة لمذهب الماتريدية إلى أربعة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعانى، ومعنوية. وتنقسم على طريقة الأشاعرة إلى ثلاثة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعانى. وتنقسم هذه الصفات أيضا بالنسبة لأدلتها إلى قسمين: عقلى، وشرعى. فالدليل العقلى ما كان من العقل، والدليل الشرعى ما كان من الكتاب العزيز والسنة النبوية. والدليل العقلى أنهض فيها إلا السمع والبصر والكلام، فالدليل الشرعى أنهض فيها عن العقلى؛ فالأدلة العقلية ما ثبتت بطريق العقل، والأدلة الشرعية ما ثبتت بطريق الشرع بإخبار من يقطع بخبره كالكتب السماوية والرسل عليهم الصلاة والسلام.

فصل فى ذكر الصفات الواجبة فى حق الله تعالى وأضدادها إجمالا وتفصيلا

يجب لله تعالى إجمالا الاتصاف بكل كمال والتنزه عن كل نقص، وتفصيلا يجب لله تعالى الوجود وهو صفة نفسية، وعليه فالوجود عين ذات الموجود وليس بصفة زائدة عليها، وفى عده من الصفات تسامح باعتبار أن الذات توصف به فى اللفظ فيقال ذات الله موجودة، ومعناه: أن ذات الله موجودة لا تقبل العدم أزلا وأبدا، وهو نفس الذات العلية عند الإمام الأشعرى، والدليل على وجوده تعالى هذه المخلوقات التى أخرجها من العدم

إلى الوجود، إذ لو لم يكن موجودا لما وجدت هذه المخلوقات، ولو كان معدوما لزم أن لا يوجد شيء من الحوادث لاستحالة كل صنعة بلا صانع، فثبت أنه تعالى واجب له الوجود، قال الله تعالى: ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ وضد الوجود العدم إذ لا واسطة بينهما.

والقدم: هو عدم افتتاح الوجود أو وجود غير مسبوق بعدم، وأن قدمه تعالى ذاتي لا لعلة اقتضت وجوده تعالى، إذ لا أول لوجوده تعالى؛ والدليل على ذلك وجود هذه الحوادث، لو لم يكن قديما لكان حادثا، إذ لا واسطة بينهما، ولو كان حادثا لاحتاج إلى محدث، ومحدثه إلى محدث، فيلزم من ذلك الدور أو التسلسل وكلاهما محال، فثبت أنه واجب له القدم الذاتي، وضده الحدوث، قال الله تعالى: ﴿ **هو الأول والآخر** ﴾.

والبقاء معناه: أنه لا آخر لوجوده، أو عدم اختتام الوجود، أو وجود غير ملحلق بعدم؛ والدليل عليه لو لم يجب له البقاء لجاز لحوقى العدم له تعالى، لكن جواز لحوق العدم له محال، فثبت وجوب البقاء له تعالى، قال الله تعالى: ﴿ **كل شيء هالك إلا وجهه** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **ويبقى وجه ربك ذى الجلال والإكرام** ﴾.

والمخالفة للحوادث: هى عدم مماثلته للحوادث فى الجرمية والعرضية والكلية والجزئية؛ والدليل على ذلك لو لم يكن مخالفا للحوادث لكان مماثلا لها، لكن كونه مماثلا لها محال، فثبت أنه مخالف للحوادث، ولو كان مماثلا لها لما وجد شيء من هذه المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ والقيام بالنفس هو عدم افتقاره إلى محل ولا مخصص، فالافتقار إلى المحل بأن يكون صفة يقوم بالمحل، أو يحتاج إلى مخصص يوجده وذلك محال، فليس هو تعالى محتاجا إلى محل يقوم به أو إلى موجد يوجده، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا؛ والدليل على ذلك وجود هذه المخلوقات، لأنه لو لم يكن قائما بنفسه لكان محتاجا، ولو كان محتاجا لم يوجد شيء من

هذه المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **والله هو الغنىّ وأنتم الفقراء** ﴾.

والوحدانية ومعناها: أن الله تعالى واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، فليست ذات الله متعددة بأن يكون ذاتين فأكثر، وليست ذاته تعالى مركبة من أجزاء. واحدا فى صفاته، فليست صفاته متعددة، بأن تكون صفة من صفاته متعددة بأن تكون قدرتين أو إرادتين إلخ، وليس لغيره صفة كصفته تعالى، وليست أفعاله متعددة كأفعالنا. ومعنى كونه تعالى واحدا فى أفعاله أنه ليس لغيره تعالى فعل من الأفعال على وجه الإيجاد، وإنما ينسب للغير على وجه الكسب والاختيار. والدليل على ذلك وجود هذه المخلوقات، لأنه لو يمكن واحدا لكان متعددا، ولو كان متعددا لم يوجد شىء من المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ **وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾.

وتنقسم الوحدانية إلى ثلاثة أقسام: وحدانية فى الذات، وهى عدم التركب فيها وعدم التعدد. ووحدانية فى الصفات، وهى عدم تعدد الصفات للذات العلية من جنس واحد. ووحدانية فى الأفعال، وهى عدم ثبوت فعل لغيره تعالى وعدم مشاركة غيره له تعالى فى فعل من إيجاد أو إعدام، فبذلك ثبت أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله وهو المطلوب، قال الله تعالى: ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾.

فهذه الصفات الخمس التى هى القدم والوحدانية وما بينهما تسمى صفات السلوب، لأن كل واحدة منها سلبت أمرا لا يليق بالله سبحانه وتعالى، فالقدم سلب ضده: الحدوث، والبقاء سلب الفناء، والمخالفة للحوادث للحوادث سلبت المماثلة للحوادث، والقيام بالنفس سلب الاحتياج إلى المحل والمخصص، والوحدانية سلبت التعدد فى الذات والصفات والأفعال.

والتى بعدها تسمى صفات المعانى، وهى سبع صفات، لأن كل صفة منها لها معنى قائم بذاته تعالى، إذ لو كشف لنا الحجاب لرأيناها.

الحيـــاة: هى صفة أزلية وجودية تصحح الإدراك لمن قامت به توجب صحة العلم والإرادة، وهى لا تتعلق بشيء، وحياته تعالى بلا روح بخلاف حياة الحوادث فإنها بالروح، وهى حياة لا تعلم حقيقتها. والدليل على ذلك أنه لو لم يكن حيا لكان ميتا ولو كان ميتا لما اتصف بالصفات التى أقيم عليها البرهان، وذلك محال وباطل، فثبت أنه تعالى حيّ دائم الحياة. وضدها الموت، وهو فى حقه تعالى محال، قال الله تعالى: ﴿ **الله لا إله إلا هو الحى القيوم** ﴾.

القـــدرة: هى صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه، ولها تعلقان: تعلق صلوحى قديم، وهو صلاحيتها فى الأزل لإيجاد الممكنات وإعدامها وتنجيزى حادث وهو تعلقها بالممكنات إيجادا وإعداما بالفعل. وضدها العجز وهو محال في حق الله تعالى. والدليل على ذلك أنه تعالى قادر تام القدرة لا يعجزه شيء عن شيء لأنه لو لم يكن قادرا لكان عاجزا، ولو كان عاجزا لما وجد شيء من العالم البديع الصنع لكنه قد وجد وهو مشاهد بالعيان فبطل كونه عاجزا، وثبت أنه قادر، قال الله تعالى: ﴿ **إن الله على كل شيء قدير** ﴾.

الإرادة: هى صفة أزلية موجودة قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه ولها تعلقان: صلوحى قديم وهو صلاحيتها أزلا لتخصيص الممكن بكل ما يجوز عليه. وتنجيزى قديم وهو تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه. وتتعلق القدرة والإرادة بالممكنات لا غيرها. والدليل على إرادته تعالى أنه لو لم يكن مريدا لكان مكرها، ولو كان مكرها لم يوجد شيئا من هذه المخلوقات وكونه مكرها باطل، فثبت أنه مريد وضدها الكراهية قال الله تعالى: ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **فعال لما يريد** ﴾.

العــلـم: هو صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يعلم بها الأشياء إجمالا

وتفصيلا، لا تخفى عليه خافية ويعلم ما فى الصدور وما توسوس به الأنفس، وهو صفة ثابتة لذاته تعالى، وله تعلق واحد على وجه الإحاطة علما على ما هو به دون سبق خفاء وهو التنجيرى القديم يتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق إحاطة، وضده الجهل. والدليل على ذلك أنه لو لم يكن عالما لكان جاهلا فلا يكون مريدا، لأنه لا تعقل إرادة مع جهل، فثبت أنه عالم وهو المطلوب، قال الله تعالى: ﴿ **عالم الغيب والشهادة وهو العزيز الحكيم** ﴾.

السمع: هو صفة قديمة قائمة بذاته تعالى، يسمع بها كل موجود بغير ذن وصماخ ولو كشف لنا الحجاب لرأيناها، يتعلق بكل موجود على وجه سماعه تعلق انكشاف، وضده الصمم، والدليل على ذلك هذه المخلوقات، لأنه لو لم يكن متصفا بالسمع لكان متصفا بالصمم، ولو كان متصفا بالصمم لكان ناقصا حادثا ولم يوجد شيئا من هذه المخلوقات، فثبت أنه سميع لكل الأصوات ما ظهر منها وما خفى، قال الله تعالى: ﴿ **قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرّهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾.

البصر: هو صفة أزلية موجودة قائمة بذاته تعالى، له تعلق واحد يتعلق بجميع الموجودات على وجه الإبصار تعلق انكشاف، والانكشاف به يغاير الانكشاف بالسمع، وضده العمى. والدليل على ذلك أنه لو لم يكن بصيرا لكان أعمى، ولو كان أعمى لكان ناقصا حادثا، فلا يوجد شيئا من الملخوقات وذلك باطل، فثبت له تعالى البصر، قال الله تعالى: ﴿ **وهو السميع البصير** ﴾.

الكلام: هو صفة أزلية موجدة قائمة بذاته ثابتة له تعالى تدل على كل معلوم، منزّه عن التقدم والتأخر واللحن والإعراب، والصحة والإعلال وغير ذلك، يتعلق بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق دلالة فإن تعلق

بالأمر كان أمرا، وإن تعلق بالنهى كان نهيا، وإن تعلق بالوعد كان وعدا، وإن تعلق بالوعيد كان وعيدا. وله تعلقات ثلاثة: تنجيزى قديم، وصلوحى قديم باعتبار دلالته على الأمر والنهى قبل وجود المخاطبين، وتنجيزى حادث عند وجودهم، وضده البكم وهو مستحيل فى حقه تعالى والدليل على ذلك وجود هذه المخلوقات؛ لأنه لو لم يكن متصفا بالكلام لكان متصفا بالبكم، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، ولو كان متصفا بالبكم لكان حادثا ناقصا فلا يوجد شيئا من المخلوقات وذلك باطل، فثبت أنه تعالى متصف بالكلام أزلا وأبدا، قال الله تعالى: ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ فهذه ثلاث عشر صفة على مذهب الإمام أبى الحسن الأشعرى كما تقدمت، وعلى طريقة الإمام أبى منصور الماتريدى: عشرون صفة تقدمت أيضا بإثبات الصفات المعنوية، فمعانيها تؤخذ من صفات المعانى، وأدلتها تؤخذ من أدلتها.

فائدة: تقدم أن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا صوت مع أننا نقرؤه بحروف وأصوات معرب ومكتوب فى المصاحف فكيف ذلك؟ الجواب أن الله تعالى لما أراد تكليف العباد بالخضوع لكبريائه وعظمته، وكان المتعارف بينهم الذى يتفاهمون به هو الحروف والأصوات، خلق ما أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو المكتوب فى المصاحف المقروء بالألسنة؛ فمعناه: هى صفة الله القديمة التى ليست بحرف ولا صوت، فمثلا إذا سمعت قوله تعالى: ﴿ **ولا تقربوا الزنا** ﴾ فهمت منه النهى عن قربان الزنا، فقامت عليك الحجة بما فهمت من اللفظ، ولو أزيل عنك الحجاب لفهمت من الصفة القديمة هذا المعنى، وهذا من لطف الله بعباده حيث كلفهم بما يفهمون فافهم ترشد، قال ذلك بعض علماء الكلام.

وتنقسم صفات المعانى بالنظر إلى تعلقاتها أربعة أقسام: قسم لا يتعلق بشىء أصلا وهى الحياة، ومنها ما يتعلق تعلق تأثير بالإيجاد والإعدام وهى القدرة والإرادة، ومنها ما يتعلق تعلق انكشاف وهو السمع والبصر كما

تقدم، ومنها ما يتعلق تعلق إحاطة وهو العلم بأقسام العقل الثلاثة، ومنها ما يتعلق تعلق دلالة بأقسام العقل الثلاثة وهو الكلام كما تقدم ذلك. والجائز فى حقه تعالى فعل كل ممكن أو تركه، ومن ذلك وجود هذا العالم وإعدامه، تعالى: ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾ ودليله أنه لو وجب عليه شيء منها عقلا أو استحال عقلا لانقلب الممكن واجبا أو مستحيلا، لكن التالى باطل فبطل المقدم، فثبت أنه يجوز في حقه فعل كل ممكن أو تركه، والله سبحانه وتعالى هو الفاعل المختار لا رب غيره ولا معبود سواه، وبالله التوفيق والهداية، والله سبحانه وتعالى أعلم.

الباب الثالث

فى ذكر الصفات الواجبة للرسل عليهم الصلاة والسلام والمستحيلة والجائزة

ولما كانت الأمة المحمدية هى ختام الأمم المبعوث لهم الرسل الصادقون، وكان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والرسل، ولم يكن بعده نبىّ ولا رسول يرسل برسالة وتشريع جديد، وجب علينا أن نعرف ما سبق ذلك من الأنبياء والرسل الذين ذكرت أسماؤهم فى القرآن الكريم والسنة المطهرة المحمدية وجوبا محتما لقوله تعالى: ﴿ **منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ إجمالا وتفصيلا. فيجب علينا أن نؤمن ونعتقد أن لله رسلا لا نعرف أسماءهم ولا عددهم لقوله تعالى: ﴿ **ومنهم من لم نقصص عليك** ﴾ ويجب علينا تفصيلا أن نؤمن ونعتقد بأن الله تبارك وتعالى ذكر فى القرآن العظيم أسماء خمسة وعشرين رسولا تفصيلا لقوله تعالى: ﴿ **منهم من قصصنا عليك** ﴾ وهم آدم، إدريس، نوح، هود، يونس، إلياس، اليسع، داود، سليمان، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، يوسف، لوط، موسى، هارون، ذو الكفل، زكريا، يحيى، شعيب، صالح، أيوب،

عيسى، محمد صلى الله عليه وسلم. وأفضلهم أولو العزم: أى الثبات والقوة والجد فى الأمور، لقوله تعالى: ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ وأفضلهم على الإطلاق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهم خمسة: إبراهيم وموسى ونوح وعيسى ومحمد وصلى الله عليه وسلم وهو خاتمهم كما قال الله تعالى: ﴿ **وخاتم النبيين** ﴾ صلوات الله عليهم وسلامه أجمعين. وأولو العزم فى الأفضلية على هذا الترتيب فى قول القائل رحمه الله تعالى:

محمد إبراهيم موسى كليمه فعيسى فنوح هم أولو العزم فاعلم

فالواجب فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام أربع صفات: الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة. فالصدق مطابقة الخبر للواقع فى نفس الأمر فى دعوى الرسالة والأحكام التى بلغوها عن الله تعالى للمكلفين. وضده الكذب وهو مخالفة الخبر للواقع فى الظاهر وفى نفس الأمر، وهو مستحيل عليهم. والدليل على ذلك لو لم يصدقوا للزم الكذب فى خبره تعالى لكن الكذب فى حقه تعالى محال، فما أدى إليه وهو عدم الصدق محال، فثبت صدقهم وهو المطلوب، لأن الله تعالى صدقهم بالمعجزة النازلة منزلة قوله تعالى: صدق عبدى فى كل ما بلغ عنى، مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونبع الماء من بين أصابع المصطفى صلى الله عليه وسلم وقلب العصا حية وتفجير الماء من الحجر لسيدنا موسى ونحو ذلك، عليهم الصلاة والسلام، قال الله تعالى: ﴿ **ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ الآية.

الأمانة: هى حفظ الله تعالى ظواهرهم وبواطنهم من الخيانة ولو فى حال الصغر ومن التلبس بمنهىّ عنه من فعل محرم أو مكروه، ولو كانوا خائنين لم يأمرنا الله باتباعهم، فلو خانوا بفعل محرم أو مكروه لانقلب المحرم أو المكروه طاعة فى حقهم عليهم الصلاة والسلام، لكن التالى باطل فبطل المقدم، فثبت

نقيضه وهو ثبوت الأمانة لهم وهو المطلوب. والأمانة هى ملكة راسخة فى النفس تمنع صاحبها من ارتكاب المنهيات، وضدها الخيانة، وهى مستحيلة عليهم صلى الله عليهم وسلم.

والفطانة: ومعناها فى حقهم عليهم الصلاة والسلام التفطن والتيقظ لإقامة الحجة على خصومهم، وضدها الغفلة والبلادة وعدم اليقظة وهى مستحيلة عليهم. والدليل على ذلك أنهم لو لم يكونوا فطناء وكانوا بلداء ومغفلين لما أمكنهم إقامة الحجة على خصومهم والمجادلة معهم لإقناعهم بالحق، وهذا يخالف منصبهم الذى أرسلوا به وهو هداية الخلق إلى الحق، فوجبت لهم الفطانة وهو المطلوب.

والتبليغ: ويجب عليهم التبليغ للرسالة والأحكام التى أمرهم الله بتبليغها للخلق بأن يبلغوا الخلق ما أمروا بتبليغه، وضده الكتمان وهو عدم تبليغهم شيئا مما أمروا بتبليغه وهو مستحيل عليهم، فثبت أنهم لم يكتموا شيئا مما أمرهم الله به فثبت لهم التبليغ وهو المطلوب، والدليل على ذلك أن الله أمرنا باتباعهم، لأنهم لو لم يكونوا مبلغين لما أمروا به لكانوا كاتمين، ولو كانوا كاتمين لما أمرنا الله باتباعهم، لأن الله تعالى لا يأمر بفعل محرم ولا مكروه فافهم، قال الله تعالى: ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾.

وينقسم التبليغ إلى ثلاثة أقسام: قسم أمروا بتبليغه للخلق، وهو التوحيد والأحكام الشرعية فلا يكتمون منه حرفا واحدا. وقسم أمروا بكتمانه فلا يبلغون منه حرفا واحدا كبعض الأسرار الإلهية. وقسم خيروا فى تبليغه وأذن لهم فى تبليغه لبعض الأفراد كالخلفاء الأربعة وأبى هريرة رضى الله عنهم، وهو البعض الذى خيروا فى إيصاله لبعض الأفراد من الأسرار، وهى المتداولة بين الأولياء وهو الظاهر. والقسم الثالث وهو الجائز فى حق الرسل عليهم الصلاة والسلام، هو جواز الأعراض البشرية التى لا تؤدى إلى نقص فى

مراتبهم العلية، وذلك كالأكل والشرب والنوم والبيع والشراء والنكاح بالحلال، والأمراض الخفيفة كالحمى ووجع الرأس، ولا تكون منفرة للخلق عن الاجتماع بهم والأخذ عنهم كالجذام والبرص والجنون والعمى ونحو ذلك. والدليل على ذلك مشاهدة وقوع تلك الأعراض بهم، وهي التي لا تخلّ بمنصب الرسالة. وأما الأعراض التي تخل بمنصب الرسالة أو تنفر الخلق عن الاجتماع بهم والأخذ عنهم فلا تجوز عليهم وهي ممتنعة عليهم. والسهو أيضا ممتنع عليهم في الأخبار التي أمروا بتبليغها كالجنة والنار، وأما السهو في أفعالهم غير البلاغية كالسهو في الصلاة فهو غير ممتنع عليهم، وحكمة وقوع ذلك منهم أن يرى الناس كيف يعملون عند حدوث السهو في عبادتهم. وأما النسيان بعد التبليغ فيجوز نسيان ما ذكر من جانب الله تعالى لحكمة يعلمها؛ وأما النسيان من جانب الشيطان فيستحيل عليهم، ليس للشيطان عليهم سبيل، والرسل جمع رسول. والرسول هو إنسان ذكر عاقل فطن حرّ من بني آدم، أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه للخلق. والنبيّ إنسان ذكر حرّ عاقل من بني آدم أوحي إليه بشرع يعمل به في نفسه ويبلغ الناس بأنه نبيّ لئلا يؤذى.

ويناسب ما تقدم ذكر المعجزة. وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى مع عدم المعارضة، وأنواعها كثيرة منها القرآن العظيم وهو أعظمها: ومنها انشقاق القمر لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. ومنها قلب العصا ثعبانا لسيدنا موسى عليه السلام، ومنها عدم الإحراق لسيدنا إبراهيم، ومنها إبراء الأكمه والأبرص لسيدنا عيسى، على نبينا وعليهم أفضل الصلاة والسلام ونحو ذلك.

ومما يناسب خرق العادة الكرامة للأولياء رضي الله عنهم. والكرامة هي أمر خارق للعادة يظهره الله علي يد عبد ظاهر الصلاح والعدالة ليست مقرونة بالتحدى ولا دعوى الرسالة، ونحن معشر المسلمين من أهل السنة والجماعة نؤمن ونصدّق بكرامات الأولياء لورود النصوص الشرعية بذلك، ولوقوع

خوارق العادات الكثيرة من الأولياء لأجل أن يحترموا بين الناس، ليقبل إرشادهم ووعظهم إذا أقامهم الله تعالى فى مقام الإرشاد، أو لتفريج كروبهم وقضاء مصالحهم إذا احتاجوا لذلك، وكل ذلك فضل من الله تعالى لا يجب عليه تعالى من ذلك شيء. والأولياء جمع ولى: وهو العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصى، وإذا وقع منه ذنب بادر بالتوبة إلى الله تعالى.

والفرق بين المعجزة والكرامة ظاهر لما تقدم من تعريف المعجزة والكرامة، ويجمع معانى كل ما تقدم من العقائد قول «لا إله إلا الله محمد رسول الله»: معنى لا إله إلا الله: لا معبود بحق إلا الله، الخالق لكل شيء، وهو الغنى عن كل شيء، وكل شيء يحتاج إليه، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغنى الحميد**﴾ ولا بد للإنسان المسلم أن ينطق بكلمتى الشهادة، مقراً بلسانه، مصدقا بقلبه، قائما بشروطها، عالما بمدلولها. والشهادتان هما الركن الأول من أركان الإسلام الخمسة الواردة فى الحديث الشريف، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**» رواه الشيخان.

الباب الرابع
فى ذكر السمعيات

وهى التى وردت فى الكتاب العزيز والسنة المحمدية المطهرة، وأجمعت عليها الأمة المحمدية، وسميت سمعيات لأن أدلتها من الكتاب والسنة وإجماع الأمة المحمدية عليها، وهى كل ما تعلق بغير الله تعالى وأنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام مما ثبت وتقدم سابقا. وحكم معرفتها والإيمان بها الوجوب العينى على كل مسلم ومسلمة، وهى إحدى وعشرون شيئا تجب

معرفتها على المكلف. يجب الإيمان بسائر الأنبياء والرسل إجمالا وتفصيلا، وبالملائكة إجمالا وتفصيلا، والكتب السماوية أيضا، وظهور المسيح الدجال، ونزول المسيح عيسى ابن مريم، والدابة، ونفختى إسرافيل، وموت جميع العالم، ويوم القيامة، والحشر، والنشر، والموقف العظيم، وشفاعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم العظمى فى المحشر، والحساب، والميزان، والصراط، والنار، والجنة، والخلود فى كليهما بلا موت ولا فوت، ورؤية ربنا جل جلاله بالجنة، يجب الإيمان والتصديق بذلك كله. ويجب علينا الإيمان بالملائكة إجمالا وتفصيلا. ويجب علينا إجمالا أن نؤمن ونصدق بأن لله ملائكة لا نعرف أسماءهم ولا عددهم، لقوله تعالى: ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾. ويجب علينا تفصيلا أن نؤمن ونصدق بأن لله ملائكة ذكرت أسماؤهم تفصيلا وهم عشرة: جبريل وهو أمين الوحى، وإسرافيل أمين الصور، وميكائيل أمين الأمطار، وعزرائيل أمين قبض الأرواح، ومنكر ونكير وهما موكلان بسؤال القبر، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار، ورقيب وعتيد وهما الكتبة الذين يكتبون أعمال المكلفين من خير أو شرّ، فهؤلاء تجب معرفتهم بالشخص.

وتنقسم الملائكة إلى أقسام كثيرة: منهم حملة العرش؛ ومنهم الحفظة الموكلون بحفظ البشر الكبير والصغير من الجنّ والشياطين؛ ومنهم الكتبة. وهم سكان السموات، معصومون لا يقع منهم ذنب ولا يخالفون الله تعالى فى أمر من الأمور ﴿ **لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون** ﴾ لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة بل هم عباد مكرمون، أجسامهم نورانية قادرة على التشكلات الجميلة، منهم الراكع والساجد والقائم إلى يوم القيامة، لا يأكلون ولا يشربون، ولا ينامون، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون، ولا يحاسبون، ولا يعاقبون، ويدخلون الجنة مع المتقين الله تعالى، ولا يعلم عددهم إلا الله، قال تعالى: ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو** ﴾ ﴿ **والله بكل شىء عليم** ﴾.

ويجب الإيمان بالكتب السماوية إجمالا وتفصيلا. يجب علينا أن نعرف منها أربعة تفصيلا وهى التوراة أنزلت على سيدنا موسى. والإنجيل أنزل على سيدنا عيسى ابن مريم، والزبور أنزل على سيدنا داود، والقرآن العظيم أنزل على نبينا محمد صلى الله عليهم وسلم أجمعين. ويجب علينا إجمالا أن نعرف أن لله كتبا غير هذه.

ومن السمعيات: خروج المسيح الدجال: أى الكذاب، وسمى مسيحا لأنه يطوف الأرض ويمسحها فى أربعين يوما، وهو ممسوح العين اليسرى ضالّ مضلّ، مكتوب بين عينيه كافر، يدعى الألوهية، معه جنة ونار، فمن أمن به أدخله جنته وهى نار الله الموقدة، ومن كفر به أدخله ناره وهى جنة الله تعالى، وفتنه كثيرة نعوذ بالله منها.

ومنهـــا: نزول سيدنا عيسى ابن مريم من السماء الثانية عليه الصلاة والسلام، فيقتل المسيح الدجال، ويحكم بشرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أربعين سنة، يأمن الناس فيها على أنفسهم وأموالهم، ويعملون بشريعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ثم يموت ويصلى عليه المسلمون ويدفن فى الروضة مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضى الله عنهما.

ومنها: خروج يأجوج ومأجوج، وهما قبيلتان من ولد يافث بن سيدنا نوح عليه السلام، وخلقتهم مختلفة، منهم من طوله مساويا لعرضه، ومنهم من يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، ولهم أحوال غير ذلك.

ومنهـــا: خروج الدابة، وهى فصيل ناقة سيدنا صالح عليه السلام، وطولها ستون ذراعا بذراع أبينا آدم عليه السلام، ولها أربعة قوائم، وقد جمع لونها من خلق حيوانات كثيرة؛ وبين كل مفصل ١٢ ذراعا، قال الله تعالى: ﴿ **وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم، أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾ أخرجها الله لهم من الصفا على بعض الروايات، تكلم الناس ببطلان الأديان إلا دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ **ومن يبتغ غير**

الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾. ومعها خاتم سيدنا سليمان عليه السلام، وعصا سيدنا موسى عليه السلام، فتجلو وجه المؤمن بالعصا فيبيضّ وجهه نورا، وتختم بالخاتم على أنف الكافر فيسودّ وجهه، تقول للمسلم المؤمن: يا فلان أنت من أهل الجنة، وللكافر: أنت من أهل النار، لا ينجو منها هارب ولا يدركها طالب، ولونها مختلف الأشكال.

ومنها: طلوع الشمس من مغربها ثلاثة أيام، ثم تطلع من المشرق كالعادة إلى يوم القيامة، ثم يغلق باب التوبة فلا تقبل توبة من أحد بعد ذلك وهذه الخمسة أمور من السمعيات: خروج الدجال، ونزول سيدنا عيسى عليه السلام، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، هى علامات الساعة الكبرى.

ومن علامات الساعة الصغرى: ظهور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وهى كثيرة جدا إلى يومنا هذا، قال صلى الله عليه وسلم: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، السبابة والوسطى**».

ومنها: الساعة وهى القيامة، وسميت بالساعة لوقوعها بغتة، أو لسرعة حسابها، أو لأنها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق، وعلم مجيئها عند الله تعالى، قال تعالى: **﴿وعنده علم الساعة﴾ ﴿لا تأتيكم إلا بغتة﴾** وقال تعالى: **﴿قل إنما علمها عند ربى﴾** وقال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: **﴿يسألونك كأنك حفىٌّ عنها﴾** أى كأنك عالم بها **﴿قل إنما علمها عند الله * وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب﴾** يجب الإيمان بها، والله أعلم بحقيقتها.

ومن السمعيات التى يجب الإيمان بها: النشر، والحشر، والموقف، والشفاعة العظمى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والحساب. فالنشر: هو إحياء الناس جميعا من قبورهم. والحشر: هو سوقهم إلى الموقف، وهو صعيد واحد متسع الأرجاء تجمع فيه الخلائق للحساب. والحساب: هو محاسبة الله

عباده على أعمالهم الحسنة والسيئة، قال الله تعالى: ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿ **وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول يا ليتنى لم أوت كتابيه، ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية** ﴾ الآية، وتدنو الشمس من الرءوس، ويشتدّ الهول والكرب على الأمم حتى يتمنوا الانصراف ولو إلى النار، ﴿ **وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ بل هم حيارى من شدة الفزع الأكبر والأهوال العظيمة ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ وكل الخلائق فى ذلك اليوم العصيب يريدون الخلاص من هذا المأزق الضيق، ويطلبون الشفاعة من الرسل ليخلصوا من هذا الكرب العظيم، فكل من الرسل يقول نفسى نفسى، حتى يأتون سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فيطلبون منه الشفاعة، فيقول صلى الله عليه وسلم: أنا لها أنا لها، ويطلب من الله أن يشفعه فيهم، فيشفعه الله فى فصل القضاء، وهى الشفاعة العظمى التى خصه الله بها، فهناك تظهر فضائل رسول الله صلى الله عليه وسلم على سائر الخلائق، فتثبت له الرفعة والهيبة والمقام المحمود الذى اختص به صلى الله عليه وسلم، فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا، ومنهم من يحاسب حسابا شديدا حتى يقول الكافر: ﴿ **يا ليتنى لم أوتَ كتابيه - يا ليتنى اتخذت مع الرسول سبيلا - يا ليتنى كنت ترابا - يدعو ثبورا ويصلى سعيرا - وما ربك بظلام للعبيد** ﴾ فظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان فاستحقوا العذاب الأليم ﴿ **يوم تبيض وجوه وتسودّ وجوه، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون** ﴾ فمنهم من يعامل بالفضل، ومنهم من يعامل بالعدل، اللهم أدخلنا الجنة برحمتك، وباعدنا عن النار بفضلك وكرمك.

ومنها: الميزان والصراط والنار والجنة والخلود فيهما، ورؤية ربنا تبارك

وتعالى فى يوم القيامة فى الموقف والجنة يجب الإيمان والتصديق بذلك. فالميزان هو آلة حقيقية كميزان الدنيا لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى، له كفتان ولسان، وهو ميزان واحد لجميع الأمم، والجمع فى الآية للتعظيم، تصوّر الأعمال الصالحات بصورة حسنة نورانية، وتصوّر الأعمال السيئة بصورة ظلمانية، فتوضع الحسنات فى كفة والسيئات فى كفة، فمن رجحت حسناته فقد فاز فوزا عظيما، ومن رجحت سيئاته فقد خسر خسرانا مبينا ﴿ **فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾ وله صنج كمثاقيل الذر ﴿ **فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾.

ويجب الإيمان بالصراط، وهو شيء ممدود على ظهر جهنم لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى بين الموقف والجنة تمرّ عليه الأمم، فمنهم الناجى، ومنهم الساقط فى النار، لأن جهنم بينهما، يرده الأولون والآخرون حتى الأنبياء والرسل منهم عليهم الصلاة والسلام، والكفار يمرون على أوله فترميهم الملائكة فى النار لعدم إيمانهم بالله ورسله، ويضيق ويتسع بقدر أعمالهم. وهم متفاوتون فى المرور، فمنهم من يمرّ كالبرق الخاطف، ومنهم من يمرّ كطرف العين، ومنهم من يمرّ كأجاويد الخيل، ومنهم من أقل من ذلك، ومنهم من يسقط فى النار من عصاة المؤمنين، ثم يخرجون منها بفضل الله تعالى وبشفاعة المصطفى صلى الله عليه وسلم. وأما الكفار فهم مخلدون فيها أبدا، وهو موجود الآن يجب التصديق به والإيمان بذلك.

ومنها: النار أعاذنا الله منها، أعدها الله للعصاة من المؤمنين والفار يجب الإيمان بها، وهى موجودة الآن. وهى جسم محرق سوداء مظلمة لا كنار الدنيا فإنها أشد منها حرا أضعافا مضاعفة، وهى دار العصاة والكفرة الفجرة كما

جاء فى الأخبار، قال الله تعالى: ﴿ **وبشر الذين كفروا بعذاب أليم** ﴾ وقال تعالى للمؤمنين بالله ورسله ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد** ﴾ الآية.

ومن السمعيات: الجنة، وهى دار الثواب على الأعمال الصالحات، أعدها الله لعباده المؤمنين من الأنبياء والرسل والمسلمين من عباده، قال الله تعالى: ﴿ **وسارعوا إلى مغفرة من بركم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **تلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ اللهم أدخلنا الجنة بفضلك وكرمك، وباعدنا عن النار، وعافنا منها ياذا الجلال والإكرام، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

ومنها: الخلود فى كليهما يجب الإيمان بذلك، قال الله تعالى ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ وهى موجودة الآن يجب الإيمان بذلك، وقال الله تعالى فى حق الكفار ﴿ **قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين** ﴾ والآيات الدالة على الخلود فى كلا الدارين كثيرة، فإذا دخل أهل النار النار، وأهل الجنة الجنة، يؤتى بالموت على صورة كبش فيذبح بين النار والجنة، وينادى مناد: يا أهل النار خلود بلا موت، ويا أهل الجنة خلود بلا موت، فيقول أهل الجنة: ﴿ **الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين** ﴾ فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿ **ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا** ﴾ والآيات الدالة على عذاب الكفار فى النار والدالة على النعيم المقيم فى الجنة كثيرة.

ومنها: رؤية الله تعالى فى الموقف وفى الجنة للمؤمنين، قال الله تعالى ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ فسرت الزيادة برؤية المؤمنين لله تعالى فى

الجنة، وهى أعظم من نعيم الجنة كله، قال الله تعالى: ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ اللهم أدخلنا الجنة مع السابقين الأولين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ومتعنا بالنظر إلى وجهك الكريم آمين.

ومنها: العرش يجب الإيمان بذلك، وهو موجود الآن. هو جسم نورانى محيط بجميع ما خلق الله تعالى، لا يعلم حقيقته إلا هو تعالى، وهو سقف الجنة.

ومنها: الكرسى، وهو جسم نورانى لا يعلم حقيقته إلا الله تعالى يجب الإيمان به، وهو تحت العرش، فالسموات والأرض بالنسبة له كحلقة ملقاة فى فلاة من الأرض وهو غير العرش.

ومنها: الإسراء للنبىّ محمد صلى الله عليه وسلم بجسده وروحه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليلا ذهابا وإيابا، قال الله تعالى: ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ وقد ورد فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «**لما كذبتنى قريش فجلا الله لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**» وعن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما: أن نبى الله حدثهم عن ليلة أسرى به، وهو حديث طويل يشتمل على الإسراء والمعراج أخرجهما البخارى فى الصحيح.

ومنها: المعراج من بيت المقدس إلى السموات السبع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم، ورأى الله تبارك وتعالى بعينى رأسه الشريفتين من غير كيف ولا انحصار.

ومنها: حوضه صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا. وفى الحديث الصحيح: «**حوضى مسيرة شهر، وزواياه سواء، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدا**»

ومن شرب منه ودخل النار لا يعذب بعطش كعصاة المؤمنين، ولكل نبى حوض إلا صالحا عليه السلام، فحوضه ضرع ناقته، وكل أمة محمد صلى الله عليه سلم تشرب من حوضه عليه الصلاة والسلام إلا من غير وبدّل وكفر بالله ورسله وألحد فى آياته، فإن الملائكة الكرام تطرده عنه.

ومنها: الحور العين يجب الإيمان بهن، وهن نساء فى الجنة خلقهن الله لعباده المؤمنين من غير أم وأب يتمتعون بما فيها؛ وسميت حورا عينا لحسن بياضهن واتساع أعينهن مع حسن بياض العين وحسن سوادها، منهم المكثر منهن والمقل على حسب درجات المؤمنين فى الجنة، اللهم ارزقنا الجنة وما فيها.

ومنها: الولدان فى الجنة يجب الإيمان بذلك، وهم خدام المؤمنين فى الجنة، قال الله تعالى ﴿ **يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق** ﴾ الآية، وهم أجمل من غلمان الدنيا، جمالهم فائق، ورؤيتهم سارة، خلقهم الله فى الجنة من غير أم وأب كآدم خلقه من تراب.

ومنها: التوبة من الذنوب، تجب التوبة من الذنوب والمعاصى ما ظهر منها وما بطن، قال الله تعالى: ﴿ **وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** ﴾ وورد فى الحديث فى صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**يا أيها الناس توبوا إلى الله فإنى أتوب إليه فى اليوم مائة مرة**» وعن أنس رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ: «**ما من شىء أحب إلى الله من شاب تائب**» وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**» وأركانها ثلاثة: الندم على فعل الذنب وهو أعظمها، لقوله ﷺ: «**الندم توبة**»؛ والنية أن لا يعود إلى فعل ذنب؛ والإقلاع فى الحال إذا كان متلبسا بمعصية كشرب خمر أو زنا، وهى أن يستغفر الله تعالى مما فعل بالشروط المقدمة. فالاستغفار مع ما تقدم من الأركان توبة، قال الله تعالى:

﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم** ﴾ وقال الله تعالى: ﴿ **استغفروا ربكم إنه كان غفارا** ﴾ الآية. وتنقسم التوبة إلى ثلاثة أقسام: أولها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة، انظر كتابنا [الفصول الجوهرية فى العقائد التوحيدية] إن أردت زيادة على ما تقدم. قال إمامنا القطب أحمد الدردير فى متن الخريدة:

وجدد التوبة من الأوزار　　لا تيأسن من رحمة الغفار

ومنها: القضاء والقدر، يجب الإيمان بالقضاء والقدر على كل مكلف بما قضاه الله وقدره. قال صاحب الخريدة:

وكل أمر بالقضاء والقدر　　وكل مقدور فما عنه مفر

فالقضاء عند الإمام الأشعرى: هو إرادة الله أو علم الله أو تعلقهما أزلا، فعنده يكون قديما وحادثا. وعند الإمام الماتريدى: فعل الله مع زيادة إتقان، فهو عنده حادث. والقدر عند الأشعرى: هو إيجاد الله الأشياء على وجه معين، فهو عنده حادث. وعند الماتريدى: علم الله تعالى المحيط بالأشياء، فهو عنده صفة قديمة، ويجب الإيمان بهما لورودهما فى الكتاب والسنة المحمدية قال الله تعالى: ﴿ **وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه** ﴾. وفى الحديث عن النبى ﷺ أنه قال: «**وتؤمن بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره**» قال السندوبى:

الخير فى القدر يسمى طاعه　　والخير لذتها وحسن ثوابها

والشر معصية تفاقم أمرها　　والمر محنتها وسوء عقابها

ورد فى الحديث عن النبى ﷺ: «**إذا ذكر القدر فأمسكوا**» أى عن نسبة شيء لغير الله تعالى. وفى شرح الخريدة للقطب الدردير رضى الله عنه أنه قال: فكل أمر بالقضاء: أى بسببه. وهو عند الأشاعرة: إرادة الله المتعلقة أزلا بتخصيص الكائنات ببعض ما يجوزعليها على طبق علمه تعالى؛ والقدر

عندهم: إيجاد الله تعالى الأمور على طبق إرادته تعالى وعند الماتريدية: القضاء هو علم الله المتعلق أزلا بوجود الأشياء، والقدر إيجاد الأمور على طبق علمه تعالى. وعلى كل فالقضاء صفة ذات بقيد تعلقها. أما الإرادة المتعلقة بالأشياء أزلا وهو قول الأشاعرة، أو العلم المتعلق بالأشياء أزلا وهو قول الماتريدية، فالقضاء قديم على قوليهما، والقدر صفةفعل، ونظم ذلك العلامة الأجهورى بقوله:

إرادة الله مع التعلق في أزل قضاؤه فحقق
والقدر الإيجاد للأشيا على وجه معين أراده علا
وبعضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق في الأزل
والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

وكل أمر قد قدره الله فى الأزل وأبرزه إلى الوجود مما سبق فى سابق علمه تعالى وقضائه فما عنه مفر، لا بد من وقوعه على طبق ما أراد الله وعلم ولا محيص عنه، فيجب الصبر والتسليم لما قضاه وقدره لقوله تعالى: ﴿ **وبشر الصابرين** ﴾ فإن لم يصبر على ما قضاه الله وقدره من خير أو شرّ فقد خسر الدنيا والآخرة ﴿ **ذلك هو الخسران المبين** ﴾ فيجب على الشخص المسلم الصبر والتسليم لأحكام الله تعالى الأزلية، وأن يفوّض أمره إلى الله تعالى فى كل الأمور ﴿ **وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد** ﴾ فلا إعراض ولا اعتراض. قال العلامة القطب الدردير فى متن الخريدة:

فكن له مسلما كى تسلما واتبع سبيل الناسكين العلما

أى العاملين بعلمهم الخائفين من الله تعالى.

ومنها: يجب الإيمان بالأولياء من عباد الله الصالحين لقوله تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون * الذين آمنوا وكانوا يتقون**

﴿ لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ۝ لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ﴾. والأولياء جمع ولى: هو القائم بحقوق الله تعالى وحقوق عباده على حسب الإمكان، وهو العارف بالله تعالى وبصفاته التى تقدمت حسب الإمكان المواظب على الطاعات، المجتنب للمنهيات، المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات، ولهم كرامات يجب اعتقادها، فهم عباد الله الخواص ﴿ لهم ما يشاءون عند ربهم ﴾ وكرامات الأولياء ثابتة، وأنها واقعة قديما وحديثا، ومنكرها فاسق فلا يلتفت لقوله الباطل. وتعريفها كما تقدم هى أمر خارق للعادة غير مقرون بالتحدى ودعوى الرسالة والنبوة، وهى ثابتة شرعا جائزة عقلا. والدليل من الكتاب العزيز على ذلك قصة سيدتنا مريم وابنها سيدنا عيسى عليه السلام، قال الله تعالى ﴿ واذكر فى الكتاب مريم ﴾ الآيات، وقصة آصف بن برخيا كاتب سيدنا سليمان عليه السلام، وقصة سيبدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع نيل مصر وغير ذلك، وهى واقعة من الصحابة والتابعين وغيرهم إلى وقتنا هذا، والسنة كذلك، وأجمعت الأمة المحمدية على ذلك، فالإيمان بها واجب، اللهم احشرنا ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ﴾

ولنختم بما ختم به مولانا العلامة القطب الدردير رضى الله عنه:

وقل بذلّ ربّ لا تقطعنى ... عنك بقاطع ولا تحرمنى
من سرك الأبهى المزيل للعمى ... واختم بخير يا رحيم الرحما
والحمد لله على التمام ... وأفضل الصلاة والسلام
على النبى الهاشمى الخاتم ... وآله وصحبه الأكارم

﴿ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم،

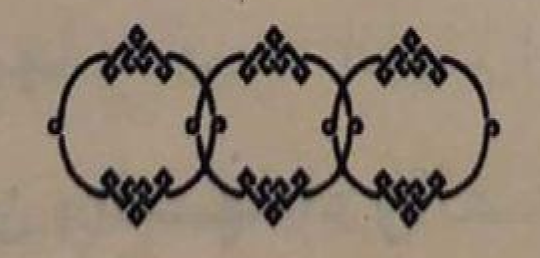
ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين، والحمد لله على التمام والكمال، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

وكان الفراغ من كتابة هذه النسخة فى ضحى الجمعة ٣ من شهر جمادى الثانى سنة ١٣٧٩هـ الموافق يوم الجمعة ٤ من شهر ١٢ سنة ١٩٥٩م، والله أسأل التوفيق والصواب، وإليه المرجع والمآب.

انتهى القسم الأول من «عقائد التوحيد» من كتاب [المقدمات الزكية فى فقه السادة المالكية] ويليه إن شاء الله تعالى القسم الثانى من «علم الفقه» منها.

والله المستعان وبه التوفيق وعليه التكلان، لا رب غيره ولا معبود سواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.




القسم الثانى
في
علم الفقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المستحق لجميع المحامد، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم على آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد انتهى القسم الأول وهو علم العقائد التوحيدية من كتابنا «المقدمات الزكية وفقه السادة المالكية» ويليه القسم الثانى من الكتاب وجعلته أبوابا وفصولا، راجيا من الله تعالى النفع والثواب لى ولجميع المسلمين، لا رب غيره ولا معبود سواه، وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

الباب الأول

فى ذكر نبذة من ترجمة الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه إمام دار الهجرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام

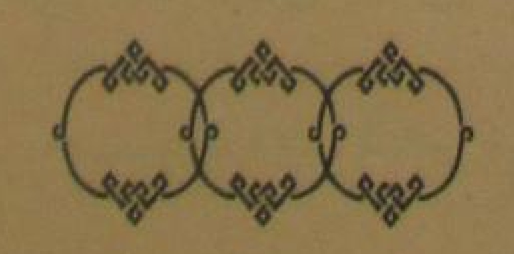
هو الإمام القدوة الحسنة لمن تبعه من الناس مالك بن أنس بن مالك بن أبى عامر بن عمرو بن الحارث بن عثمان بن خثيل من ذى أصبح بطن من بطون حمير، وبيته من بيوت الملوك، ووالده يسمى أنسا، فوالده وجده تابعيان، وأبو عامر جد أبيه صحابى، شهد الغزوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عدا بدرا. والإمام مالك رضى الله عنه من تابعى التابعين، وهو عالم المدينة المنورة وهو مشهور بها، وعلمه وافر وفضله واسع ظاهر، وناهيك ما اشتهر «لا يفتى ومالك بالمدينة» وهو المنفرد فى وقته بالعلم والزهد والعمل والورع بل فى كل الدنيا، وقد أخذ العلم عن تسعمائة شيخ أو أكثر، وما تصدر لتدريس العلم والفتوى إلا بعد أن شهد له سبعون إماما أنه أهل

لذلك، وعلمه ملأ الأرض شرقا وغربا، وهو ابن سبعة عشر عاما، وكتب بيده مائة ألف حديث نبوى فى ستة عشر عاما، واختصرها فى كتابه الموطأ المشهور بين العلماء والناس، وجلس لتدريس العلم وعمره سبع عشرة سنة كما تقدم قال الإمام ابن عيينة: مالك بن أنس سيد المسلمين. وقال الإمام الأوزاعى: مالك عالم العلماء. وروى الإمام أبو حنيفة عنه بعضا من الحديث النبوى.
وقال الإمام الشافعى: مالك أستاذى وعنه أخذت العلم، وما أحد أمنّ على من مالك وجعلته حجة فيما بينى وبين الله تعالى، وقال: إذا ذكر العلماء فمالك النجم، وهو مشهور بعلمه فى المشرق والمغرب والمدائن والأمصار والشام ومصر والسودان والأندلس وجميع بقاع الأرض، وفتاويه ومذهبه مشهور فى كل المعمورة، وكفى بذلك شرفا وقدرا ورفعة أنه عالم المدينة فى وقته وفى كل الأوقات، وقد كان ذا سلطان وليس بسلطان تهابه الملوك وليس بملك، لكنه عامل بعلمه خائف من ربه ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**) قال بعض الشعراء فى وصفه:

يأبى الجواب فما يراجع هيبة ... والسائلون نواكس الأذقان

أدب الوقار وعز سلطان التقى ... فهو المطاع وليس ذا سلطان

وهو رضى الله عنه موقر ومعظم عند الخاص والعام من الناس، وقد ترجم له كثير من العلماء والمؤرخين منهم المقلّ ومنهم المكثر، حتى جعلت ترجمته بالمجلدات، وهذا يسير من كثير. ولد الإمام مالك رحمه الله تعالى سنة ثلاث وتسعين، وتوفى يوم الأحد فى ربيع الأول سنة ١٧٩هـ تسعة وسبعين ومائة ودفن بالبقيع بالمدينة وعمره ٨٦ سنة على الصحيح.



الباب الثانى

فى أصول الدين الإسلامى والفقه المالكى

أصول الدين الإسلامى والفقه أربعة: القرآن العظيم، والسنة النبوية المطهرة، وإجماع الأمة المحمدية، والقياس. وزاد إمامنا مالك بن أنس رضى الله عنه أصلا خامسا وهو عمل أهل المدينة المنورة بساكنها سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ.

أولهـا: القرآن، فالقرآن هو كتاب الله تعالى المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المتعبد بتلاوته، المكتوب فى المصاحف، المتحدى بأقصر سورة منه لإصلاح البشر كافة دنيا وأخرى.

ثانيها: السنة النبوية الشريفة المطهرة الواضحة، هى أقوال النبى محمد صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته المفصلة لما أجمل فى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**﴾ فقد بين صلى الله عليه وسلم للناس ما أنزل إليه من حلال وحرام، ومندوب ومكروه ومباح، ووعد ووعيد، وأمر بمعروف، ونهى عن منكر، وخير وشر. فهو صلى الله عليه وسلم المبين للكتاب، المرشد للبشر، المبين لطريق السعادة وطريق الشقاوة، فقد بين صلى الله عليه وسلم للبشر العبادات والمعاملات الدنيوية والأخروية من كل ما أمره الله تعالى به وحذر وبشر صلى الله عليه وسلم.

ثالثها: الإجماع، وهو اتفاق علماء الأمة المحمدية على أمر شرعى بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم فهو أصل من أصول الدين يجب العمل بمقتضاه، ولا يجوز خرقه بعد الانعقاد، وتحرم مخالفته لقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتى أمر الله**».

رابعها: القياس، وهو مساواة أمر لأمر فى الحكم فيعطى الثانى حكم الأول لعلة بينهما كمساواة النبيذ للخمر فى الإسكار، فهو حرام لأجل

السكر، فتناوله وتعاطيه حرام يجب الكف عنه؛ ودليل الإجماع قوله تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا**﴾ ودليل القياس اتفاق الأمة المحمدية على ذلك.

والأصل الخامس عند المالكية: عمل أهل المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، لأنهم هم الذين باشروا عمل النبى صلى الله عليه وسلم فى آخر عمره الشريف وفعله صلى الله عليه وسلم، وجرى العمل بذلك عند المالكية، والله الموفق للصواب.

الباب الثالث

فى ذكر قواعد الإسلام

فأركان الإسلام خمسة لما ورد فى الحديث الشريف، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان**» رواه البخارى ومسلم.

الإسلام لغة: الانقياد والخضوع أو الدخول فى السلم، وفى الشريعة المحمدية: الانقياد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم بالنطق باللسان للشهادتين، والاعتقاد بالقلب، والعمل بالجوارح، بأن يلفظ بلسانه ويعتقد ويصدق بقلبه أن الله واحد لا شريك له، وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، أرسله الله للناس كافة بشيرا ونذيرا، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، وأن يعمل بجوارحه بما أمره الله به. والعمل بالجوارح شرط لإظهار الإسلام وهما فرض فى العمرة مرة واحدة، وهو الواجب على الشخص، وما عدا ذلك يكون من باب الذكر لهما. فالإكثار من التعبد بذكرهما محبوب ومندوب ومطلوب شرعا. ومعنى الإيمان لغة: التصديق مطلقا، ومعناه فى الشريعة المحمدية: التصديق

بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. فالإسلام والإيمان على هذا التعريف متباينان، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ أى استسلمنا ظاهرا ﴿**ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم**﴾ وقد يستعملان مترادفين كقوله تعالى: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾ وقد يستعملان متداخلين بالعموم والخصوص فيكون الإسلام أعم إذا كان الإنقياد باللسان والقلب والجوارح، لأن الإيمان خاص بالقلب، ويكون الإيمان أعم إذا كان قولا باللسان وإخلاصا بالقلب وعملا بالجوارح، وهذا قول كثير من السلف، وعلى هذا يكون الإسلام قولا باللسان وعملا بالجوارح فقط، والحق ترادفهما كما فى الآية ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين**﴾ الآية، فافهم ترشد. فمن كان مؤمنا بقلبه منقادا بجوارحه فهو عند الله ناج من الخلود فى النار. ومن انقاد بالجوارح دون الإيمان بالقلب فهو مخلد فى النار، وكان يسمى منافقا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم، ويسمى فى زمننا هذا زنديقا أو ملحدا. ومن آمن بقلبه ولم ينطق بلسانه ولم يعمل بجوارحه إذا كان ذلك لإكراه له أو ضيق وقت، كمن أسلم فمات قبل أن ينطق أو يعمل فهو ناج معذور مخلص عند الله تعالى، وإن كان لغير ذلك فاختلف فيه.

وإقام الصلاة: وهى المقصودة شرعا المعلومة عند الناس، وهى خمس صلوات فى كل يوم وليلة، وهى الصبح، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء. والمراد بإقامتها: المحافظة عليها فى أوقاتها مع استيفاء شروطها وأركانها. فالصلاة لغة: الدعاء، واصطلاحا: هى قربة فعلية ذات إحرام وسلام وسجود لفقط لتدخل سجدة التلاوة، وبعبارة أخرى هى قربة فعلية ذات ركوع وسجود وقيام إلخ. مفتتحة بالتكبير مختتمة بالسلام.

وإيتاء الزكاة: أى دفعها لمستحقيها، والزكاة لغة: النموّ والزيادة، واصطلاحا: إخراج مال مخصوص من مال مخصوص يصرف لطوائف

مخصوصة، وسميت زكاة لأنها سبب لزيادة المال وحصول البركة فيه وورد فى الحديث: «**ما ضاع مال فى برّ أو بحر إلا من عدم الزكاة**».

والحج: قال الله تعالى: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غنىّ عن العالمين**﴾ الحج لغة: القصد، واصطلاحا: قصد مكة للنسك، وهو حضور بعرفة ساعة من ليلة النحر، وطواف بالبيت الحرام سبعة أشواط، وسعى بين الصفا والمروة. وشروط وجوبه أربعة: الحرية، والبلوغ، والعقل، والاستطاعة. وشرط صحته الإسلام، ودخول الوقت. وفرائضه وأركانه أربعة: الإحرام، والطواف، والوقوف بعرفة من صلاة العصر إلى دخول جزء من الليل وإن فاته الوقوف بعرفة ليلة النحر فقد فاته الحج، والسعى بين الصفا والمروة. وأهم أركانه: الوقوف بعرفة وطواف الافاضة. وأنواع الإحرام ثلاثة: إفراد الحج وهو أفضل عند المالكية، وقران، وتمتع. ولا يجب الحج على المستطيع إلا مرة واحدة فى عمره، فإن زاد لعى ذلك فهو مندوب، فقد ورد فى الحديث: «**من حج حجة أدى فرضه، ومن حج ثانية داين ربه، ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار**» وفعله يكفر الصغائر من الذنوب والكبائر منها حتى التبعات وهى حقوق الآدميين إن مات فى حجه أو بعده. وحكمه أنه فرض وواجب على من استطاع مرة واحدة فى العمر على التراخى وجوبا موسعا عند المالكية والشافعية. وقيل عند الإمام مالك على الفور. وقال به أبو حنيفة والإمام أحمد بن حنبل وأبو يوسف صاحب أبى حنيفة رضى الله عنهم.

فائدة: قال ابن العماد: حكمة تركب الحج من الحاء والجيم إشارة إلى أن الحاء من الحلم والجيم من الجرم، فكأن العبد يقول: يا رب جئتك بجرمى: أى ذنبى لتغفره بحلمك. وورد فى الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» رواه البخارى ومسلم، وعنه رضى

الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة**» رواه البخارى ومسلم.

وصوم رمضان، والصوم لغة: مطلق الإمساك، قال الله تعالى فى حق سيدتنا مريم ﴿**فإما ترين من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾ واصطلاحا: الإمساك عن المفطرات جميع النهار من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قال الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر**﴾ وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إنى صائم مرتين، والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلى، الصيام لى وأنا أجزى به، والحسنة بعشر أمثالها**» رواه البخارى فى الصحيح. وعنه رضى الله عنه، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**تسحروا فإن فى السحور بركة**» رواه البخارى. وقال صلى الله عليه وسلم: «**لو يعلم الناس ما فى رمضان من اليمن والبركة لتمنوا أن يكون حولا**».

الباب الرابع

فى ذكر مبادئ علم الفقه

حده: هو علم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، أو هو معرفة النفس مالها وما عليها. **وموضوعه**: أفعال المكلفين ولو حكما من حيث تكليفهم بها كالصلاة والصوم، أو بتركها كالزنا والسرقة ونحو ذلك، أو تخييرهم كالأكل والشرب ونحو ذلك.

وفائدته: العمل بمقتضى الأحكام الشرعية من عبادة الله الخالق، ومعاملة الخلق على حسب الأحكام الشرعية.

وثمـرتـه: الفوز بالجنة والنجاة من النار، وفضله: أنه من أشرف العلوم العربية، وفيه الدلالة على رضاء الله تعالى للمتبع له والعامل بأحكامه.

وواضعـه: الأئمة المجتهدون من التابعين وتابعيهم، وأولهم الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى.

وحكمـه: الوجوب العينى إذا توقفت عليه العبادة والمعاملة بين الناس، لقوله صلى الله عليه وسلم: «**فريضة العلم واجبة على كل مسلم ومسلمة من المكلفين**» رواه ابن ماجه.

واستمداده: من الكتاب والسنة والإجماع والقياس كما تقدم. واسمه علم الفقه، قال الناظم:

إن مبـادى كل فن عشـره ... الحد والموضوع ثم الثمـره
وفضله ونسبـة والواضـع ... والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائل والبعض بالبعض اكتفى ... ومـن درى الجميع حاز الشرفا

وفى هذا القدر كفاية، وبالله التوفيق والهداية.

الباب الخامس

فى الماء الذى يصح منه الوضوء والغسل والذى لا يصح به الوضوء، ولا تزال به نجاسة ولا جنابة

قال الله تعالى: ﴿**وأنزلنا من السماء ماء طهورا**﴾ أى مبالغة فى طهارته، وهو طاهر فى نفسه مطهر لغيره من حكم حدث أو عين خبث، سواء نزل من السماء أو نبع من الأرض كالعيون والآبار والبحار والأنهار، سواء كان عذبا فراتا أو ملحا أجاجا. قال صلى الله عليه وسلم: «**هو الطهور ماؤه الحل ميتته**» وقال تعالى: ﴿**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض**﴾ أى عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الجسد وهو الماء الطهور